(22) - AZAN, op. cit., p. 408.

(23) - Ibid, p. 408.

(24) - HERBILLON, op. cit., p. 154.

(25) - سعد الله، الحركة، ص 355، انظر ذلك

HERBILLON, Quelques pages, pp. 154-155.

(26) - FERAUD, "Les Ben Djellab" in R.A. no 29 (1885), pp. 410-413.

(27) - Ibid, pp. 416-420.

(28) - Charles - André JUILEN, Histoire de l'Algérie Contemporaine, la Conquête et les debuts de la Colonisation, (1827-1871) 2è édition, Paris, PUF, 1979, p. 384.

(29) - V. REBOUD, "Bulletin" in R.A. no 30 (1886) pp. 79-80.

(30) - Archives d'ature-mer, AIX, 9H11, Note secret Surveillances des indigènes.

عبد السلام بنونة
رائد الحركة الإستقلالية بالمغرب الأقصى*

د. مريم صغير

يعتبر الحاج عبد السلام بنونة أبرز الشخصيات التي سجلها تاريخ الحركة الوطنية المغربية، وأحد رموزها البارزين خلال العقد الأول من القرن العشرين.

مولده ونشأته

ولدت هذه الشخصية بمدينة تيطوان المغربية(1)، ورأت النور في تاريخ 3 جمادى الثانية من عام 1305 هجري، الموافق لـ 14 فبراير عام 1888 ميلادي(2)، حيث استطاع والده الحاج العربي بنونة احتلال مكانة هامة في المجتمع، فكان من رجالات الدولة البارزين في عهد السلطان المغربي مولاي الحسن والسلطان مولاي عبد العزيز(3) والظاهر أنّ مكانة أبيه سمحت لأسرته هي الأخرى أن تحضى بمنزلة مرموقة في الوسط التيطواني(4).

ومنذ ولادته وجد من يأخذ بيده ويعتني به حق العناية حيث رعاه جده من أمه الحاج عبد الكريم بريشة(5)، فكان لهذه النشأة أثر كبير في تكوين شخصيته.

(*) - هذا المقال جزء من دراسة جامعية أشرف عليها ا.د. ناصر الدين، ونظرا لأهميتها فإننا ارتأينا تقديمها للقارئ لتعم الفائدة.

تعليمه وتكوينه

بدأ عبد السلام بنونة تعليمه القاعدي، كما كان معمولا به آنذاك وهو حفظ القرآن الكريم وتعليم المبادئ الأولى للدين الإسلامي الحنيف ليكوّن بذلك نفسه ويضع أول لبنة صحيحة لبناء مستقبله وهذا ما جعل منه فيما بعد شخصية لها وزنها وسمعتها داخل المغرب الأقصى وخارجه خلال العشرينات من القرن العشرين.

وبعد أن أنهى المرحلة الأولى من تحصيله شرع في باقي المراحل الأخرى وبشكل أكثر تعمقا، حيث تتلمذ على يد علماء أجلاء وشيوخا كبارا يشهد لهم عصره، أمثال الشيخ البقالي والشيخ الزواقي وابن الآبار والرهوني وغيرهم(6) ولم يكتف عبد السلام بنونة بهذا القسط من العلم والمعرفة بل زاد من تعميق معارفه العلمية عن طريق مطالعاته الكثيرة والمتنوعة، والظاهر أن تعلمه اللغة الإسبانية وإتقانه لها مكنه من المزيد من الاطلاع أكثر(7).

وهذه العوامل كلها جعلت منه شخصية متميزة عن غيرها خاصة وأنها كانت على قدر كبير من الذكاء الخارق والموهبة الكبيرة التي صقلها محيطه العائلي، فكان مجتهدا في كلّ مراحل دراسته ومحبا لعمله المعرفي وهذا ما خول له أن يصبح شخصية لامعة في ربوع المغرب الأقصى.

ونظرا لتمكنه من اتقان اللغتين العربية والإسبانية استطاع أن يحاضر بهما دون أدنى مشقة(8)، كما أنّه تمكن من التبحر في العديد من العلوم كالتاريخ والإقتصاد وعلم الإجتماع وألم بالصنائع والحرف وهذا ما خول له ممارسة عدة وظائف حيث مسك دفتر المحاسبة وتولى وظيفة الحسبة(9).

كما سمحت معارفه الواسعة من تناول عدة بحوث هامة وفي مجالات متعددة منها الإقتصاد والاجتماع والتاريخ(10) وبذلك تمكن من احتلال مكانة مرموقة بين أقرانه وعلماء عصره فكان يتقصى أخبار الثقافة والعلوم ويطالع ما كان يؤلف من كتب وينشر من مقالات خاصة وأنه كان يتقن اللغة الإسبانية حق الإتقان(11).

يضاف إلى ذلك إهتماماته بالجانب الأدبي وكذلك التصوف والموسيقى وهذا ما جعل منه موسوعة متعددة الجوانب خاصة وأنه كان ميالا للفن وطباعه، حيث قام بمحاولات لمعرفة «قواعد الفن وتاريخه وأنواع الطرب وآلاته، وأصول النغمات وأنواعها(12).

أما محاولاته الأدبية فتتلخص في تنظيمه الأبيات الشعرية التي كانت تتناول بالدرجة الأولى القضايا الوطنية بالإضافة إلى الوصف والحكمة وعلى هذا الأساس صنف من «الشعراء الهواة المتذوقين للشعر العربي الرفيع والعارفين بعلم العروض الذين لا يستعصي عليهم النظم الرقيق»(13).

وقد تفجرت مواهبه الكبيرة في اهتماماته المتزايدة فيما يخص الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وذلك عن طريق الصحافة التي كانت تنشر له أعماله(14)، خاصة وأنها كانت إحدى الوسائل الهامة التي يمكن بواسطتها طرح القضايا الاجتماعية والاقتصادية مع الحلول الملائمة لها.

شخصيته العلمية والأدبية

نظرا لما كان عليه الحاج عبد السلام بنونة من سعة الإطلاع وتبحره في العلم والمعرفة، فإنه كان محط أنظار الجميع بما تميزت به شخصيته خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين، فقد جعل من بيته خلال هذه الفترة، مقرا للوطنيين المغاربة مع تنوع مشاربهم. فمنهم الأدباء والشعراء والسياسيين وحتى المهتمين بالنواحي الاقتصادية خاصة الصناعة، ففي 17 أوت 1930 شهدت بيته عدة ندوات واحتفالات ومن أهمها تلك التي أقامها على شرف الأمير شكيب أرسلان الذي قام بزيارة المغرب الأقصى وبالتحديد إلى تيطوان(15).

وتكريما لشخص الأمير أرسلان فقد حضر إلى دار الحاج عبد السلام بنونة حيث كان يقيم ما يقرب من مائتي شخص جلهم من الفئة التي عبرت عن وطنيتها وغالبيتهم من الشباب(16) وقد قوت مبادرته هاته من مكانته بينهم. والظاهر أنّ إختيار دار الحاج عبد السلام بنونة لم يكن وليد الصدفة، بل رتب له كما يجب، وكان عن قناعة من طرف لجنة التكريم التي كانت مؤلفة من السادة التهامي الوزاني الذي ترأس اللجنة وأخيه محمد الوزاني وعبد الخالق الطريس والشيخ المصمودي ومحمد داود وسلام الحاج وسلام الطنجي وباغوز وعزيمان والحسين بن عبد الوهاب ومحمد بن عبود(17)، وهذا الإختيار في نظرنا يعود بالدرجة الأولى إلى شخصية عبد السلام بنونة ومكانتها الاجتماعية والأدبية والعلمية بين أهل تيطوان.

إنّ شخصية عبد السلام بنونة لم تقتصر دعوتها على النهضة والتحرر والإصلاح في بيئته الاجتماعية الضيقة المتمثلة في الجزء الشمالي للمغرب

والخاضع للإحتلال الإسباني، بل كان يجوب المغرب عرضا وطولا باحثا عن العناصر التي من شأنها تمكنه من شد أزر دعوته، وهو الأمر الذي زاد من إنتشار صيته فكانت له فرصة جمع ما تشتت من الشباب المغربي الناهض مع اعتماده على أقرانه الذي يشم فيهم رائحة الوطنية والمؤازرة للنهضة والإصلاح(18)، وهذا ما سمح له عند نشأة الحركة الوطنية المغربية في بدايتها من تبوؤ الصدارة وكان بذلك قطب رحاها وعمودها الفقري الذي اعتمدت عليه في التوجيه والإرشاد وبالتالي فإنه لم يكن من الممكن إجراء أي عمل دون الرجوع إلى رأيه ولا يمكن تنفيذ مشروع ما دون إقحامه فيه والعمل على تحقيقه ماديا وأدبيا(19).

لقد كان عبد السلام بنونة، صاحب أداة مفكرة أثراها بثقافة واسعة وتمكّن من تعزيزها بدروس عميقة وقد قال فيه الأمير شكيب أرسلان: «لا يحوم خاطره حول موضوع إلا أصاب منه المحز وطبق المفصل وقال فيه الأفضل ولم يكن إذا ابتكر رأيا أو أبرم قانونا ليقف عند حد التأمل فيه والتحدث بمنافعه ... فكان كسائر الرجال الذين استوفوا شروط الرجولية وعبروا ذيول العبقرية بفضل العمل على القول ويرى العمل القليل خيرا من القول الكثير ...»(20).

وخلال مرحلة الثلاثينات إستطاع نجم بنونة الأدبي أن يسطع في سماء المغرب الأقصى، لما كان ينشره من مقالات في أشهر المجلات والصحف آنذاك ومنها مجلة الأمة العربية التي كانت تصدر في جنيف، حيث أصبح أحد أقطابها الأدبية والعلمية خاصة وأنها كانت تصل إلى المغرب الأقصى بانتظام وباسم الحاج عبد السلام بنونة(21)، الذي استطاع عن جدارة أن يكون أحد أعمدة النهضة الأدبية في تيطوان، خاصة وأنه سليل عائلة تصدرت أعيان تيطوان ووجهائها من خلال ميولاتها الثقافية وحبّ العلم والمعرفة، فكان ذلك حافزا له لكي يلعب دورا رياديا في العديد من المجالات.

وبغض النظر عن كونه كان وزيرا سابقا للمالية في حكومة المخزن، وعاملا على مدينة تيطوان، فإنه استطاع بأبحاثه القيمة في مجال التاريخ أن يحصل على عضوية الأكاديمية الإسبانية للتاريخ(22) وبالتالي فإنّ حصوله على العضوية في أكبر أكاديمية إسبانية لم يكن من الأمور السهلة بالنسبة لأي باحث إلا إذا أثبت جدارته وكفاءته ميدانيا.

لقد برهن عبد السلام بنونة على ذلك من خلال مجهوداته التي أثمرت في الميدان التاريخي من التعرف على قضايا وحوادث هامة في التاريخ العربي

الإسلامي، منها العثور على وثائق في الأرشيفات الإسبانية تتحدث عن مباراة كانت تجري داخل خيمة كبيرة نصبت في وسط سوق، يجتمع فيها عدد كبير من الشعراء العرب المشهورين وفي بداية الحفل يتم اختيار حكم يجب أن يتمتع بقدرة كبيرة في ميدان الأدب تميزه عن جميع الحاضرين ثم يعين الحكم بعد اختياره لتبدأ قراءة القصائد التي يتم منها إختيار القصيدة الشعرية الفائزة وبعد ذلك تكتب على شريط من ثوب حريري وتعلق في الكعبة الشريفة ومن خلال هذا الوصف وصل عبد السلام بنونة في نهاية بحثه إلى أن هذه السوق التي أشارت إليها الأرشيفات هي سوق عكاظ الشهيرة في تاريخ العرب(23).

إنّ اهتماماته الثقافية هاته خاصة في ميدان التاريخ سمحت له من إظهار طموحاته الواسعة ومجالات بحثه المتنوعة، حيث بدأ ينافس الغربيين أنفسهم في ذلك مما سمح له من احتلال مكانة علمية يحسد عليها كيف لا وهو ابن عائلة مثقفة أبا عن جد(24).

هذه الوضعية اللائقة دفعته إلى التفكير في ضرورة ضمان خلافته في المجال العلمي والأدبي حيث راح يوافق على زواج إبنته من الأستاذ محمد داود الذي تمكّن من الفوز بجائزة أدبية عن جدارة ومن بين مجموعة من أقرانه. فكان محل إعجاب الحاج عبد السلام بنونة خاصة وأنه كان يعتبر إلى جانب علال الفاسي والمكي الناصري والمختار السوسي وغيرهم من المجددين المغاربة في الشعر العربي حيث كانت تلوح بوادر السبق لهذه الآداب على جميع الآداب الغربية(25).

وقد كان عبد السلام بنونة ميالا للمسامرات الأدبية وحب البحث والتنقيب في الأرشيفات، فما أن يسمع بوجود أرشيف جديد إلا وحفظه عن ظهر قلب، وهذه الرغبة والشغف المعرفي سمحا له بالتعرف من خلال مستندات مملكة أراغون على معلومات جد هامة تناولت العلاقة التي كانت قائمة بين السلاطين المغاربة وملكة أراغون ومنها مراسلة بعثها سلطان المغرب الأقصى إلى زوجة دون بيدر(26) إضافة إلى هذا فإنه كان ميالا لدراسة تاريخ بلاده الذي من خلاله إستطاع أن يتعرف أكثر ويتعمق التاريخ العربي الإسلامي فكان تأثره واضحا ببعض عمالقة هذا التاريخ وأفكارهم الرائدة أمثال محمد عبده وجمال الدين الأفغاني(27).

وقد تولدت عن ذلك إتصالات بين عبد السلام بنونة وشخصيات أدبية وعلمية داخل المغرب أمثال الفاسي وأفيلال والوزاني والناصري وغيرهم أما في الخارج فقد تمكن عبد السلام بنونة من خلق علاقات مع شخصيات عربية كان على رأسها

الأمير شكيب أرسلان، والشيخ أمين الحسيني والشيخ عارف الكندي(28) كما أنه كان شغوفا بقراءة الكتب التاريخية فما أن سمحت له فرصة التنقل خارج بلاده إلا وانهال عليها، يقتني منها ما يراه هاما، ويقول في إحدى رسائله ما يلي: «إشتريت هنا - أي في إسبانيا - أخبار مجموعة من أمراء الأندلس وحروبهم وكذلك تأليف ابن بشكوال وابن الأبار(29). ومما هو مطبوع بمجريط(30) أي إشتريت من هذه الكتب بثلاثمائة بزيطاس ومجموعة وثائق عربية من طليطلة في ثلاثة مجلدات وإشتريت كتابا في مايورقة عن مايورقة ... عدا تاريخ ميورقة للمخرزي(31).

ومما زاد في شخصيته الأدبية مكانة وهيبة هو دوره البارز في تدعيم مجلة الأمة العربية التي تحملت مسؤولية الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية ودفع عجلة الثقافة إلى الأمام وذلك عن طريق فسح المجال للإنتاج الأدبي والثقافي المتنوع وقد فكر الحاج عبد السلام بنونة في تكوين شركة من أربعين شخصا للمساهمة في تمويل المجلة بغض النظر عن مساهمته المادية الخاصة(32) وهذا العمل أكد شخصيته المتطلعة إلى الإسهام الفكري والثقافي بكل الطرق والوسائل المتاحة، حيث نجده يقوم بمهمة مساعدة الأمير شكيب أرسلان في بيع بعض تأليفه داخل المغرب الأقصى إلى جانب أعداد من المجلة التي كانت تصله على الدوام وهو بدوره يقوم بتوزيعها، والعمل الذي كان يقوم به بعض العلماء الجزائريين كذلك(33).

كما استطاع بشخصيته الأدبية من فرض وجوده فكان له سبق الكلمة في تاج العروس عن كلمة بنونة(34) وقد ذاع صيته خارج المغرب حتى أصبح من فطاحلة الأدب الذين يمكن الإعتماد عليهم، حيث قام الزعيم رشيد رضا بمراسلته شخصيا(35).

والظاهر أنّ شخصيته العلمية والأدبية ومكانته الاجتماعية التي إكتسبها، أكسبته من جهتها عداوة الاستعمار الفرنسي الذي لاحقه في كل مكان بحيث لم تقتصر هذه العداوة على تشويهه في وسائل إعلامها آنذاك من جرائد ومجلات بل تجاوزت ذلك وعملت على الوقوف في وجه كل طموحاته مستعملة كل الوسائل منها محاربة عائلته(36).

وبالتالي فإنّ كل هذه العوامل أعطت لشخصيته خصائص مميزة في نشاطه المستمر والمستميت بمساعدة من الأمير شكيب أرسلان وهذا ما جعل الصحافة تكشر عن أنيابها أكثر من مرة في وجه هاتين الشخصيتين، خاصة وأنّ عبد

السلام بنونة وبتوجيه من الأمير إستطاع تحريك الشارع التيطواني في العديد من المرات(37).

وقد إستطاعت شخصية عبد السلام بنونة من أن تثبت وجودها إبتداء من تأسيس أول تنظيم ظهر مباشرة عقب ثورة عبد الكريم الخطابي وبالتحديد في 2 أوت عام 1926، وهو التنظيم الذي ظهر تحت إسم الرابطة المغربية التي حملت النخبة المغربية(38)، والتي رفضت بدورها الوضعية التي آل إليها المغرب من جراء إنقسامه إلى شطرين، الأول إسباني والثاني فرنسي وبالتالي فإنّ الحاج عبد السلام بنونة كان من السباقين في تأسيس أول فرع للرابطة المغربية في الجزء الواقع تحت الحماية الإسبانية(39).

وما ميز هذه الشخصية كذلك هو ميولاتها الكبيرة إلى الإصلاح، فقد كانت توجهاتها في غالبيتها إصلاحية، إرتكزت على الناحية الاجتماعية وعلى رأسها ميدان التعليم لارتباطه بالنشء(40)، خاصة وأنه كان أول شخصية مغربية قامت بإنشاء أول مدرسة حرة بالجزء المحتل من طرف إسبانيا.

ومما لا شك فيه فإنّ الظهير البربري المشؤوم الذي حاولت السلطات الإستعمارية تكريسه خاصة وأنّ هناك خلفية أساسية كانت تتحكم فيه، مبينة تقوية العنصر البربري على حساب العنصر العربي وهذا لا يترك مجالا للشك في وجود سياسة إستعمارية تقوم على مبدأ «فرق تسد»، وتعود عليها بفائدة مؤكدة خاصة سياسيا في تحطيم المجتمع المغربي(41)، فإنّ من جهة كان وراء ظهور فكر رافض لهذه السياسة ميز شخصية عبد السلام بنونة ليس في جانبها السياسي فقط بل العلمي والأدبي هذا إلى جانب الظرف المميز الذي كان يعيشه المغرب الأقصى والذي كان يدور في فلك التبعية التي ألحقته فيما بعد بوزارة المستعمرات(42).

وهذا الوضع - في نظرنا - الذي آل إليه المغرب الأقصى من جراء السياسة الاستعمارية المطبقة على شعبه هو الذي أثر في نفسيته وأكسبه خصائص معينة منها وطنيته الشديدة التي برزت من خلال تناوله للعديد من القضايا الأدبية منها والاجتماعية وحتى العلمية وقد طغى عليها طابع الإصلاح الذي كان يراه ضروريا للوصول بالمجتمع إلى مرحلة الوعي السياسي وهذا ما جعل كتلة العمل الوطني منذ نشأتها والتي كان من بين رجالاتها عبد السلام بنونة، تعمل على تقديم برامج إصلاحية هامة(43).

وقد توجت هذه الخصائص بميزة نادرة وهي دفاعه المستميت عن اللغة العربية، والذي كلفه الإبعاد عن منصبه الإداري من طرف سلطات الإستعمار الإسباني(44)، وما من عرائض مطلبية حررت إلا وقد تناولت قضية اللغة العربية كمحور أساسي لا مجال فيه للمناقشة وهذا ما نلحظه من خلال التنظيم الحزبي السري الذي تأسس في 23 أوت 1923، والذي كان عبد السلام بنونة عضوا بارزا، حيث جاء في إحدى بنوده ما يلي: «اللغة العربية وحدها لغة البلاد الرسمية ولذلك يجب أن تكون أساسية في البرامج التعليمية»(45).

كذلك نستشف من خلال محتوى المطالب المقدمة للحكومة الإسبانية من طرف الوفد المغربي تأثير شخصية بنونة ومما جاء فيها ما يلي: «ومما لا شك فيه أن بلادا على باب نهضتها تحتاج إلى صحافة حرة تنير الفكر العام وترشده وتحتاج إلى جمعيات تدربها على الحياة العامة وتشعر الجماهير بكرامتهم وتهذب مبادئهم ... وحرية النشر والصحافة والجمعيات هي من الحريات اللازمة للإنسان، التي لا غنى عنها فكل قيد في سبيلها هو عقبة في سبيل الترقي وتنوير الأذهان مع كونه ماسا بأقدس حقوق الإنسان ...»(46)، لتصنيف العريضة المطلبية ما يلي: «كون الحكومة الإسبانية السابقة لم تبد أي اهتمام بتعليم الأهالي كما يجب فقد مضى على الحماية ما يقرب عن عشرين سنة لم تفتح خلالها مدرسة إبتدائية خاصة بالأهالي مبنية على ثقافتهم الخاصة ولغتهم العزيزة فلذلك نطلب من الحكومة الجمهورية فتح مدارس يكون نظام التعليم على أساس اللغة العربية(47).

وهكذا يمكن القول أن شخصية عبد السلام بنونة الأدبية والعلمية ارتكزت خصائصها على المطالبة بإصلاحات ضرورية، لكن في ظل الهيمنة الاستعمارية وتحت مظلة الحماية وحتى وإن لم ترفع هذه الشخصية شعار الإستقلال علانية إلا أنها كانت تعمل في السر من أجل تحقيقه.

وفاته

لم يكتمل نضال العلامة عبد السلام بنونة، الذي شمل ميادين عديدة حيث اختطفه القدر في مدينة «الرندة» الأندلسية في تاريخ 9 يناير عام 1935 الموافق لـ 3 شوال من عام 1353 هـ، ولم يكن عند هذا التاريخ قد أكمل السابعة والأربعين من عمره، وهو في عز عطائه العلمي، وقد نقل جثمانه من إسبانيا إلى المغرب الأقصى ليدفن في زاوية «سيدي ابن الفقيه» بمدينة تيطوان(48).

وبهذا المصاب الجلل يكون المغرب الأقصى والأمة العربية كلها فقدت أحد رجالها العظماء وعلمائها الأفذاذ الذين دافعوا بكل ما أوتوا من قوة عن العروبة والإسلام.

إن موته المفاجئ ترك آثارا عميقة ليس في نفوس المغاربة وحدهم بل كان فاجعة للوطن العربي والإسلامي، فنزل خبر وفاته كالصاعقة على العديد من الشخصيات البارزة التي كانت على إتصال دائم به(49)، وقد تداولت الصحف والجرائد هذا النبأ المؤلم بحسرة وأسى، فكانت مجلة «الأمة العربية» الصادرة في جنيف والمهتمة بقضايا الوطن العربي من أولى المجلات التي تكلمت عن فقدان هذه الشخصية، ورأت أن موته كان لها وقع رهيب، خاصة وأنه كان من أخلص وأمهر العاملين في سبيل القضية الإسلامية، معتزا بأصله وبتقاليد بلاده ولا يتراجع أمام التضحيات لمصلحة بلده المغرب(50).

أما الصحف الأجنبية خاصة الإسبانية منها بحكم تواجد إقليم الريف تحت الحماية الإسبانية، فإنها رأت في موته خسارة كبيرة كان يتردد كثيرا على العاصمة الإسبانية مما سمح له بالتعرف على العديد من الرجالات السياسية والثقافية هناك، كما أنه كان من أبرز الشخصيات المغربية التي يمكن الإعتماد عليها لتقريب وجهات النظر بين المغاربة والإسبان لما عرف عنه من الحنكة السياسية وقد كتبت عنه صحيفة «الشمس» "Le Soleil" التي كان مقرها بمدريد مقالا مطولا مذكرة بثقافته ومكانته الاجتماعية وأنه رجل الذي كان بإستطاعته التوفيق بين احتياجاته في الصناعة وبين حبه للعلم والمعرفة، وكما أشارت إلى الكتاب الذي ألفه عن بلاده وهو بعنوان «عبر من تاريخ المغرب» وكتاب آخر كان في مرحلة الإعداد بعنوان «المباراة الأدبية في عهد العرب قبل مجئ محمد» وأنه اعتمد في أبحاثه على المادة التاريخية التي كان يستمدها من مستندات الدول العربية والإسلامية(51).

أما صحيفة (أ-ب-س = A-B-C)، التي كان مقرها هي الأخرى العاصمة الإسبانية مدريد فقد تناولت من جانبها نبأ وفاة الحاج عبد السلام بنونة متعرضة من خلال ما نشرته إلى شخصيته الفذة التي كانت معروفة لدى أصحاب الفكر والرأي في مدريد شارحة العلاقة التي كانت قائمة بين عبد السلام بنونة وإسبانيا على أنها علاقة صداقة كبيرة، ثم أثنت على خصاله السياسية وخبرته الدبلوماسية، التي جعلت منه شخصية هامة تلجأ إليها كلا من الحكومة الإسبانية والحكومة الشريفية لحل القضايا الهامة العالقة بينهما(52).

وبوفاته انطوت مرحلة نضال، لتقوم مقامها مرحلة جديدة تعتبر استمرارية لها ألقي على عاتقها مسؤولية المطالبة بالإستقلال والعلانية به وبذلك تكون المغرب والأمة العربية فقدت أحد أبرز رموزها الذين ضحوا من أجل الإستقلال والحرية.

الهوامش

(1) - الطيب بنونة نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة مطبعة أمل طنجة، 1980، ط 1، ص 42.

(2) - المصدر نفسه، ص 42.

(3) - المصدر نفسه، ص 42.

(4) - REZETTE (R): Les partis politiques Marocains, Paris, 1955, p. 83.

(5) - بنونة، المصدر نفسه، ص 42.

(6) - بنونة، المصدر نفسه، ص 42.

(7) - مكنته سعة إطلاعه على ما كتب بالعربية والإسبانية والفرنسية من طرف باب التأليف حيث تمكن من تأليف كتاب تحت عنوان «عبر من تاريخ المغرب» وكان بصدد إعداد كتاب آخر بعنوان «المباراة الأدبية في عهد العرب قبل مجئ محمد» وكان له سبق في العثور على وثائق هامة حول العلاقات بين سلاطين المغرب ومملكة أراغون، انظر بنونة، ص 42.

(8) - بنونة، مصدر سابق، ص 42.

(9) - المصدر نفسه، ص 43.

(10) - الظاهر أن ممارسته الميدانية للنشاطات الإقتصادية أكسبته خبرة كبيرة فراح يقدم الأبحاث القيمة في هذا المجال، انظر REZETTE, Op. cit., p. 83

(11) - بنونة، مصدر سابق، ص 42.

(12) - بنونة، مصدر سابق، ص 42.

(13) - بنونة، مصدر سابق، ص 42.

(14) - المصدر نفسه، ص 42.

(15) - بنونة، مصدر سابق، ص 24.

(16) - بنونة، مصدر سابق، ص 25.

(17) - بنونة، مصدر سابق، ص 25.

(18) - المصدر نفسه، ص 48.

(19) - المصدر نفسه، ص 48.

(20) - هذه مقتطفات من الخطاب الذي ألقاه شكيب أرسلان في حفلة تأبين الحاج عبد السلام

بنونة والذي جاء تحت عنوان «لو كان مثل بنونة كثير لتحررت هذه الأمة من زمن طويل» انظر الخطاب الكامل في: بنونة، المصدر نفسه، ص 51 ، 57.

(21) - بنونة، مصدر سابق، ص 61.

(22) - المصدر نفسه، ص 70.

(23) - حتى وإن كان عبد السلام قد اكتشف هذه الحوادث التاريخية في الأرشيف الإسباني فإنّ إطلاعه إلى الأدب العربي مكنه من التعرف عن هذه الحوادث خاصة التنافس الشعري الذي وصل أوجه خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين عن إهتماماته في هذا الجانب، انظر: بنونة، المصدر نفسه، ص 70.

(24) - بنونة، مصدر سابق، ص 71.

(25) - المصدر نفسه، ص 71.

(26) - مما جاء في هذه الرسالة الثناء على حسن وجمال الملكة والعمل على احلال السلام بين الطرفين وقد ذكرت المراسلة كذلك، ملك مايوركا، أخو ملكة أراغون ورغبة هذا الأخير هو كذلك في إحلال السلام مع المغرب الأقصى، انظر بنونة، المصدر نفسه، ص 71.

(27) - لم تنحصر الحركة الإصلاحية التي نادى بها كل من محمد عبده والأفغاني في قطر معين إنما شملت كل المغرب العربي وقد تأثر العديد من الشخصيات العلمية والأدبية بها، ذلك لأنها قامت على تعاليم القرآن الكريم.

(28) - يعتبر الكندي من الشخصيات العربية المقربة جدا من الأمير شكيب أرسلان فكان عضوا في المجتمع العلمي بدمشق وقد راسله الطيب بنونة بعد وفاة إبيه الحاج عبد السلام للحصول على بعض الرسائل التي كانت بينهما. انظر: بنونة، مصدر سابق، ص 77.

(29) - ابن بشكوال له: «كتاب الصلة» وهو عبارة عن كتاب للتراجم وابن الأبار له: «كتاب الحلة السيراء».

(30) - كلمة مجريط هي الإسم العربي لمدينة مدريد التي أصبحت عاصمة إسبانيا فيما بعد.

(31) - انظر بالتفصيل نص الرسالة في بنونة، نفسه، ص 100 ، 101.

(32) - بنونة، مصدر نفسه، ص 157.

(33) - لقد ذكر بنونة في كتابه «نضالنا القومي ...» كلا من الأستاذين أحمد توفيق المدني والشيخ الزاهري وهما شخصيتان جزائريتان معروفتان على المستوى العلمي الثقافي، انظر في ذلك بنونة، نفسه، ص 138.

(34) - في معجم تاج العروس الذي يعتبر من أشهر المعاجم العربية إستطاع عبد السلام بنونة من أن يكون له سبق وضع تعريف لإسم بنونة، انظر في ذلك بنونة، مصدر سابق، ص 163.

(35) - ما جاء في هذه المراسلة هو طلب المساعدة لبيع نسخ من كتيب الأمير شكيب أرسلان «لما تأخر المسلمون» انظر بنونة، نفسه، ص 188.

(36) - عندما أنهى إبنه الطيب كتابا «نضالنا القومي دراسته في نابلس بفلسطين قرر الإلتحاق بالجامعة الأمريكية في بيروت لإتمام دراسته العليا، لكن القنصل الفرنسي بالقدس رفض

إعطاءه تأشيرة الدخول إلى لبنان بحجة أنه ابن عبد السلام العدو اللدود لفرنسا في المغرب الأقصى وهذا ما اضطره إلى الإنتقال إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومنها إلى إسطنبول. انظر في ذلك، بنونة، نفسه، ص 268.

(37) - إن تحريك الشارع التيطواني تجسد في المظاهرات العارمة التي كانت وراءها شخصية عبد السلام بنونة، ومن أهمها المظاهرة العمالية ليوم 1 ماي 1931، والمظاهرة الكبرى ليوم 3 أوت بمناسبة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف: انظر بالتفصيل عن هذه المظاهرات محمد بن عزوز حكيم وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب الأقصى، مؤسسة عبد الخالق طرسي، تيطوان، المغرب، 1980، ص77.

(38) - شريف محمد، الأحزاب السياسية المغربية، مطبعة إفريقيا، الشرق الدار البيضاء، 1988، ص 10.

(39) - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، مطبعة الرسالة، الرباط، 1987، ص 83.

(40) - شريف، مصدر سابق، ص 11.

(41) - علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، تيطوان 1994، ص 142.

(42) - لقد تم إلحاق المغرب الأقصى بوزارة المستعمرات في شهر فبراير عام 1934 وذلك على عهد حكومة دالادي، انظر في ذلك:

AYACH (Albert): Le Maroc; Bilan d'une Colonisation; Edition Sociales 1956.

(43) - شريف، مرجع سابق، ص 22.

(44) - لقد تم إبعاد عبد السلام بنونة من المجلس البلدي المنتخب، بسبب رفضه التوقيع على محاضر الجلسات، لأنها كتبت بالإسبانية دون العربية التي يعتبرها اللغة الرسمية للبلاد، انظر بنونة، ص 45.

(45) - الفاسي، مرجع سابق، ص 146.

(46) - شريف، نفسه، ص 17-18.

(47) - شريف، مرجع سابق، ص 17-18.

(48) - عندما أصيب الحاج عبد السلام بنونة بمرض السل ذهب إلى الإستحمام بمنطقة الروندة بإسبانيا ومنها وافته المنية لينقل إلى مسقط رأسه بتيطوان، انظر بنونة، نفسه، ص 66.

(49) - كان من أبرز هذه الشخصيات الأمير شكيب أرسلان الذي كان تربطه علاقات حميمة وهو الذي مهد له لزيارة المغرب الأقصى وقد رثاه في جريدة الجهاد المصرية بقصيدة مطولة.

(50) - شكيب أرسلان: «فقدان أليم، موت الحاج عبد السلام بنونة»، مجلة الأمة العربية، العدد 3، السنة 15 يناير - فبراير 1935، ص 209.

(51) - بنونة، مصدر سابق، ص 69-70.

(52) - بنونة، مصدر سابق، ص 73.

محمد المنصوري الغسيري
1974 - 1912
جوانب من سيرته الذاتية وجهوده الإصلاحية من خلال جريدة «البصائر»

د. عبد المجيد بن عدة

إن الأستاذ المجاهد محمد الغسيري هو أحد أبناء الجزائر البررة الأوفياء، الذين ذادوا عن حياض العربية والإسلام، وعاشوا حياتهم كلها من أجل الجزائر، فمن يكون يا ترى هذا الرجل المجاهد والمربي؟ وما هي الجهود التي بذلها في حقل الإصلاح والوطنية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال هذه الترجمة المتواضعة لبعض الجوانب من سيرته وجهاده في النقاط التالية:

1 - حياته وسيرته

ولد المنصوري الغسيري سنة 1912 في قرية غسيرة قرب الأوراس، حيث تعلم مبادئ العربية، وتابع بعد ذلك تعليمه بمدرسة الإخاء ببسكرة، وفي سنة 1932 أصبح من طلبة الجامع الأخضر بقسنطينة وذلك قصد التحصيل العلمي على يد الأستاذ الجليل أبي النهضة الجزائرية الحديثة الإمام عبد الحميد بن باديس(1).

ولما كانت البيئة الجزائرية آنذاك في حاجة ماسة إلى من يساهم فيها من أجل القضاء على الجهل والدجل والخرافات، ونشر العلم والمعرفة بعد أن كاد الإستعمار